الجمعة : 21/11/2008 الشيخ الطيب محمد خير

الشعال

سلسلة أسرتي

2- ((يا بني – أمٌ تخاطب ابنها))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، الحمد لله ثم الحمد لله ،الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد هـ ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ،وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، خير نبي اجتباه ، وهدى ورحمةً للعالمين أرسله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، ولو كره من كره ، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته.

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال تعالى:

﴿....رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأحقاف:15]

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:6]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)) [النسائي وابن حبان]

هذه هي الخطبة الثالثة من سلسلة أسرتي فقد تحدثا لماذا هذه السلسلة وكان عنوان خطبة الأسبوع الماضي ((يا بني – أبٌ يخاطب ابنه)) وعنوان خطبة اليوم

((يا بني- أمّ تخاطب ابنها))

وسألبس في هذه الخطبة لَبوس أمٍ لأخاطب كلَّ ابنٍ بلسان أمهاتهم وحالهن فأقول:

۞ يا بني :

وجدتكَ بعضي بل وجدتكَ كلي، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي.

۞ يا بني :

تذبل الأم لذبول ولدها، وتغيب بسمتها إن غابت ضِحكتُه، وتذرف دموعها وتحرم نفسها من الطعام والشراب إن اشتدَّ توجعه..

يرقص قلبها فرحاً إذا ضحك ابنها، ولا تسعها الدنيا نشوةً إذا حبا أو درج، وتسمع نغم الدنيا في كلماته، وترى الحياة كلها نوراً وجمالاً وهي تراه يلعب مع الصبيان أو يدرس مع الأقران أو يعمل مع الفتيان أو يغدو ويروح مع الرجال والأعيان، وهكذا تعيش له ومعه.

۞ يا بني :

لئن كان أبوك ذهب – في الخطبة الماضية – نحو القرآن الكريم يبحث فيه عن الآباء مع الأنبياء ليُبقي لك منه العظات، فلقد ذهبت أنا نحو حديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأبحث فيه عن الأمهات مع الأنبياء.

لكني قرأت حديثاً واحداً فوقفت عنده ولم أستطع أن أجاوزه، سأرويه لك ثم سأروي لك في شرحه قصة ثم أسرد لك نصائح سريعة.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله قال:

((جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله منْ أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ **قال: أمك** ، قال: ثم منْ؟ **قال: أمك**، قال: ثم منْ؟ **قال: أمك**، قال ثم منْ؟ **قال : أبوك**))

🏠 يا بني :

أتدري لماذا أمك أحق الناس بحسن صحبتك!؟

ستنبئك هذه القصة:

كان لأمي عين واحدة، وكانت تعمل طاهية في المدرسة التي أتعلم فيها لتعيل العائلة، ذات يوم في المرحلة الابتدائية جاءت لتطمئن علي، أحسست بالإحراج فعلاً، كيف فعلت هذا بي، تجاهلتُها، ورميتها بنظرة مليئة بالكره.

وفي اليوم التالي: قال أحد التلامذة: أمك بعين واحدة!

ثم راح يضحك مع أصدقائي؟!

وحينها تمنيت أن أدفن نفسي وأن تختفي أمي من حياتي.

عدتُ إلى البيت وواجهتها: لقد جعلتِ مني أضحوكة، لمَ لا تموتين كما فعل أبي؟

ولكنها لم تجب.

لم أكن متردداً فيما قلت، ولم أفكر بكلامي، لأني كنت غاضباً جداً، ولم أبالي لمشاعرها ، وأردت مغادرة المكان.

درست بجد وحصلت على منحةٍ دراسية في سنغافورة، وفعلاً ذهبتُ ودرستُ ثم تزوجتُ واشتريت بيتاً وأنجبت أولاداً ، وكنت مرتاحاً في حياتي.

وفي يوم من الأيام سافرت وأتت أمي لزيارتي ولم تكن قد رأتني منذ سنوات ولم ترَ أحفادها أبداً، فوقفت على الباب وقرعتْهُ، ولما فتح أولادي ورأوها فأخذوا يضحكون ، صرختُ : كيف تجرأتِ وأتيتِ لتخيفي أطفالي. اخرجي حالاً .....

أجابت بهدوء: آسفة، أخطأت العنوان على ما يبدو، واختفت.

ذات يوم وصلتني رسالة من مدرستي القديمة تدعوني إلى اجتماع لجمع الشمل العائلي، فكذبت على زوجتي وأخبرتها أنني سأذهب في رحلة عمل، بعد الاجتماع ذهبت إلى البت القديم الذي كنا نعيش فيه، للفضول فقط.

أخبرني الجيران أن أمي توفيت.لم أذرف ولو دمعة واحدة.

قاموا بتسليمي رسالة من أمي :

ابني الحبيب، لطالما فكرتُ بك، آسفة لمجيئي إلى سنغافورة وإخافة أولادك، كنت سعيدة جداً عندما سمعت أنك سوف تأتي للاجتماع، ولكني قد لا أستطيع مغادرة السرير لرؤيتك.

آسفة لأنني سببت لك الإحراج مراتٍ و مرات في حياتك.

هل تعلم...

لقد تعرضت لحادث عندما كنت صغيراً وقد فقدتَ عينك، وكأي أم ، لم أستطع أن أتركك تكبر بعينٍ واحدة،

ولذلك أعطيتك عيني، وكنت سعيدة وفخورة جداً لأن ابني يستطيع رؤية العالم بعيني.

مع حبي لك.. التوقيع : أمك

🏠 يا بني :

إن هذه الرسالة تربوية وليست حقيقية لأنه لم تتم زراعة عين في الطب إلى اليوم، لكن صدقني أنك لو طلبت عينيّ لأعطيتك، بل لو طلبت روحي لفديتك، ألست ابني وحبيبي..؟!

- أعلمت الآن لماذا أمك أحق الناس بحسن صحابتك؟
- أعلمت لماذا ينبغي عليك أن تخاطب أمك بلطف وأدب.
- أعلمت لماذا عليك أن لا تعاند أمك وألا تتأفف كلامها وألا تسخر منها.
- أعلمت لماذا عليك أن لا تقدم على أمك زوجةً ولا صديقاً ولا موعد عمل .

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك فقال هل لك أم؟ قال : نعم. قال: ((**فالزمها، فإن الجنة عند رجلها**)) [النسائي].

وحدَّث أبو الطفيل قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحماً بالجعرانة، وأنا يومئذ غلام إذ أقبلت امرأةٌ حتى دنت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: منْ هي؟

فقالوا: هذه أمه التي أرضعته (أم داوود) .

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على الأرض ويُجلس أمه من الرضاع على ردائه إكراماً لها فما بالكم بفعله لو أنه أدرك أمه التي ولدته.

بل أكثر من هذا:

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام مكة، هبت قبائل هوازن وثقيف ومضر وجُشَم وسعد بن بكر قومُ حليمة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم، هبت هذه القبائل لقتال النبي صلى الله عليه وسلم، فلما علم النبي بأنهم أجمعوا على قتاله خرج إليهم في غزوة (حنين) وفيها هُزمَ المسلمون في أول المعركة لأنهم اعتَّدوا بعَدَهم وعُدَدِهم ثم جعل الله لهم الكرة على عدوهم فهزموهم بإذن الله .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع الغنائم والسبي من نساء المشركين وذراريهم، ثم إنه صلى الله عليه وسلم لما أراد قسمة الغنائم والسبايا، جاءه خطيب هوازن زهير بن صرد ومعه هوازن مسلمة: فقال يا رسول الله إنما في الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضنك فامنن علينا منَّ الله عليك.

وقال فيما قال:

أمنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها درر

أمنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يزينك ما تأتي وما تذر

فكان أن أعتق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه جميع السبايا والذراري [سيرة ابن كثير والسيرة النبوية لأبو شهبة]

إكراماً لأمٍ أرضعته في بني سعد. فما بالكم بأمه التي ولدته.

۞ يا بني :

إن دريت لماذا أمك أحق الناس بحسن صحابتك في قصتي الماضية، دريت وإن لم تدرِ فسأنقل لك هذه القصة الشعرية التربوية..

قال الشيخ إبراهيم المنذر

أغرى امرؤ يوماً غلاماً جاهلاً بنقوده كي ما يحيق به الضرر

قال ائتني بفؤاد أمك يا فتى ولك الجواهر والدراهم والدرر

فمضى وأغمد خنجراً في صدرها والقلب أخرجه و عاد على الأثر

لكنه فرط دهشته هوى فتدحرج القلب المعفر إذ عثر

ناداه قلب الأم وهو معفرُ ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر

فكأن هذا الصوت رغم حنوه غضب السماء به على الولد أنهم

فاستل خنجره ليطعن نفساً طعناً سيبقى عبرة لمن اعتبر

ناداه قلب الأم كفَّ يداً ولا تطعن فؤادي مرتين على الأثر

[مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ص32]

هذه هي أمك يا بني.

أعلمت الآن لماذا أمك أحق الناس بحسن صحابتك؟

((..قال: يا رسول الله منْ أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ **قال: أمك.**

قال: ثم منْ؟ **قال: أمك.**

قال: ثم منْ؟ **قال: أمك.**

قال ثم منْ؟ **قال : أبوك**)) [البخاري ومسلم]

يا بني:

كما حدثتك في أول الخطبة – ذهبت نحو حديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأبحث فيه عن الأمهات مع الأبناء، فقرأت حديثاً واحداً هو الذي رويته لك، فوقفت عنده ولم أستطع أن أجاوزه.

رويته لك وروي لك شيئاً من معناه،

ختاماً أوصيك يا بني مع أمك بوصايا سريعةٍ أسردها لك:

1- خاطب أمك بلطف وأدب...

2- انهض لها إذا دخلت وقبّل يديها ...

3- لا ترفع صوتك عالياً بحضرتها....

4- احترم وجودها في الغرفة فلا تمدَّ رجليك أمامها...

5- لا تفضل زوجتك عليها.....

6- أكرم أقاربها وأرحامها في حياتها وبعد موتها

7- لا تصاحب عاقاً لوالديه.

8- أحسن النفقة عليها ولا تتردد في تلبية طلبها في شراء ما يلزمها.

9- اصحبها في نزهتك...

10- لا تطل الغيبة عنها...

11- قل لها: إنها لا زالت مهمة جداً لك...

12- اطلب دعاها ورضاها ...

13- ادع لها ولأبيك :رب اغفر لي ولوالدي ، رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

يا بني:

((**أأحسنت إلي أم أسأت فأنا أحبك ، وأنا أنتظرك**))

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

خطبة الجمعة 21/11/2008 الخطبة الثالثة من سلسة ((أسرتي)) في مسجد دك الباب

الخطبة القادمة بعنوان ((يا ابنتي–أب يخاطب ابنته))